الاتّجاهُ القوميّ والاجتماعيّ والسّياسيّ في شعر مظفّر النّوّاب

الدكتور جهانكير اميري (الكاتب المسؤول)
الأستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة رازي، كرمنشاه، إيران
Gaamiri686@gmail.com
ايلاف محمد عباس جابر الكواز
طالبة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة رازي، كرمنشاه، إيران
aylafalkwaz@gmail.com
أحمد عبد ميرزا على الصائغ
طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة رازي، كرمنشاه، إيران
doaaahmed199180@gmail.com

The national, social and political trend in the poetry of Muzaffar al-Nawab

Dr. Jehangiz Amiri
Professor in the Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Arts and Humanities , Razi University , Kermanshah , Iran
Eilaf Mohammad Abbas jabber Alkawwaz
Phd student , Department of Arabic language and littratur , Razi university , Kermanshah , Iran
Ahmad Abd Mirza Ali Alssane
Phd student , Department of Arabic language and littratur , Razi university , Kermanshah , Iran

الملخص:-

يستنهض الشاعر العراقي مظفر النواب همم العربِ عموماً، والشباب منهم على وجه الخصوص، في كلِّ محفلٍ وفي كلِّ عملٍ أدبي وقصيدة شعرية صدرت عنه، فيُحسُّ المتلقي شعرَ النّوّاب نفَساً ثوريّاً متمرّداً، نفسَ ثائرٍ لم يرضخْ لفوضى عارمة اجتاحت المجتمع العربيّ على كافّة الصُّعُدِ حتى غدت الفوضى قانوناً، وبدا الشاعرُ وسط تلك الفوضى المذنبَ المخطئَ، الذي يخالفَ معاييرَ المجتمع، وعاداته، بل ونُظُمَ البلاد التي يعيش فيها، بكلِّ ما في قوانينها من عيوبٍ وثغراتٍ.

يستجلي البحثُ اتجاهات شعر مظفر النواب القومية والسياسية والاجتماعية، والأسباب التي أرست دعائم شخصيته وشعرهِ، ومآلات تلك الاتجاهات ومكانتها في الشعر العربي الكلاسيكي والمعاصر.

الكلمات المفتاحية: مظفر النواب، شعر، متمرّد، القومية، السياسية، الاجتماعية، الكلاسيكي.

Abstract:-

The Iraqi poet Muzaffar al-Nawab arouses the concerns of the Arabs in general and the youth among them in particularwithin every forum, literary work and poetic poem issued by him. The recipient of the poetry of al-Nawab feels a revolutionary and rebellious spirit, a rebellious soul that did not succumb to the great chaos that swept the Arab society at all levels until chaos became a law.In the midst of that chaos, the poet seemed to be the opposing culprit, who violates the norms of society, its customs and even the systems of the countries in which he lives, with all its flaws and loopholes in its laws.

The research explores the nationalist, political and social trends of Muzaffar Al-Nawab's poetry, the reasons that laid the foundations for his personality and poetry and the outcomes of those trends and their place in classical and contemporary Arabic poetry.

Key words: Muzaffar al-Nawab, poetry, rebel, nationalism, political, social, classica.

المقدمة:ـ

شهدت المنطقة العربية وبينها العراق أحداثاً جمّةً في مطلع القرن العشرين، كانَ أبرزها الحربين العالميّتين، واحتلال فلسطين، وانتقال المنطقة من حكم العثمانيين إلى حكم الاوروبيين، وقد هبَّ الشعراء العرب منتفضينَ كتفاً إلى كتفٍ إلى جانب العربِ الثائرين على المحتل، ثمَّ على الواقع المتردي بعد نيل معظم البلادِ استقلالها، ومن بين هؤلاء شاعرٌ تميّز عن غيرهِ باختلاف أسلوبه، وجرأته في تناول المحظورات، ومغامراته الشعرية والأدبية التي لم يكن غيرُهُ ليُقدِمَ عليها في زمنٍ كثر فيه الرياء والفساد وعمّت الفوضى أرجاء العراق والوطن العربي، انعكسَ ذلكَ على الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فقابلَ فسادَ الحكّام المتلطّينَ خلفَ حججٍ واهيةٍ، على رأسها الفقر الناتج عن المدة الطويلة التي مكث فيها المحتل، وما جره من ويلاتِ العَوَزِ والتّشرّد، قابَلَ ذلكَ الغموضَ بفضحِ ممارساتهم وسياساتهم الخادعة، لا بل بما اتهمه به الآخرون، وهو بذاءة اللسانِ، التي كان يراها حالةً طبيعيةً تُشبه ما درج عليه الفاسدون من سوء أخلاقهم، ونهبهم خيرات الشعوب.

الشاعرُ الآنفُ الذكر هو الشاعر العراقيُّ مظفّر النّوّاب، الذي ذاع صيته في الآفاق، وصار لسان حال كثيرين ممن لم يستطيعوا البوح بما باح به، رغم أنَّ ما باحَ به قد جلب له الويلات لهُ على صُعُدٍ شتى على ما سنرى بعد قليل.

مجال البحث:

تتواشج جوانبُ الحياةِ لتشكّلَ وحدةً كلّيّةً لا تنفصمُ عُراها، ولا تعيشُ الواحدة منتها على نحوٍ مستقلٍّ إلا في البحث والشرح والدراسة، لذا فإنَّ جوانب الشعر الذي صدرَ عن شاعرنا مظفر النواب لم يكن لينفصل الجزءُ الواحدُ فيه عن الآخرِ؛ فالجانب القومي كان وليد ظروف الواقع العربي المتردي، على الأقل من وجهة نظر الشاعر، ولم تكن الدول العربية على قلب رجل واحد، فقد شرذمتها الفتن والاقتتال الذي جرّه المستعمر، ومهّدت له قرون من التدخل الخارجي، جعلت من البناء العربي بناء متداعي الأركان، وشاعرنا وهو الثائر المتمرد المعروف بسلاطة اللسان لم يكن ليسكت عمّا يراه من واقع مرير، يغذيه في ذلك العين النافذة التي يرى من خلالها الواقع، ولم يكن ليتردَّد في نقده اللاذع وهجائه المقذع، طالما يرى أنّ المسؤولية تقع على فئات لم تتردد في خيانة أوطانها ونهب ثرواتها،

فكان حريًا به أن يقابل جرأة المسؤولين بجرأة الطرح و تناول القضايا المختلفة.

ولا ينفصل أو يختلف الجانب السياسي عن سابقه من حيث الأسباب والنتائج، فالسياسات الخاطئة من وجهة نظره، هي التي أودت بالجانب القومي واضاعت قضايا الوطن الجوهرية، بدءا من فلسطين التي طغت على شعره واستحوذت على فكره يستحضرها في جلّ قصائده، وليس انتهاءً بالدول العربية كلّها، فالشاعر يسكنه هاجس الأمة العربية، وكأنّه مضطلع بأعبائها موكّل بتسيير شؤونها، والذود عن حياضها.

وإلى جانب الاتّجاهين القومي والسياسي يبرز الاتّجاهُ الاجتماعي الذي هو أسّ الفكر العربي عموما والعراقي على وجه الخصوص، فلطالما تقلّد شاعرنا سيف الدفاع عن المظلومين في المجتمع، ووقف إلى جانب الطبقات الاجتماعية المسحوقة رغم كونه ابن عائلة ثريّة وأرستقراطية.[1] كما وناهض المتنفذين والحكام الظالمين، من وجهة نظره، ولم يروّعه خوفٌ من سلطان، ولا رهبة من متنفذ، ولم يسلم من عقابهم الذي أودى به السجن تارةً والمنفى تارة أخرى، والتهديد بالقتل و تعرّضه لمحاولة اغتيال كما حدث معه في اليونان عام ١٩٨١م[2].

تلك الجوانب السابقة التي سيدور حولها البحث هي في الحقيقة محور حياة الشاعر التي أطّرها ضمن بوتقته الفنية، لتظهر بلبوس الشعر الذي لم يرُق لمنتقديه، وبحثنا هذا سيقف على عتبات النصوص الشعرية ليستقرئ منها مرامي الشاعر وأفكاره الصريحة وتلك التي كنّى عنها وألمح إليها لغايات ستكشفها صفحاتنا التالية.

مشكلة البحث:

تبدو مشكلة البحث في إحدى جوانبها أنّها تتناول الجانب الرمزي في شعر الشاعر، فصحيح أنّ الشاعر كان سليط اللسان جريئا ثائرًا متمردًا، لكن في المقابل ولأسباب مختلفة كان ينحو منحى الترميز في شعره والإلماح إلى المقصد دون التصريح به، وهذا يدفعنا إلى تتبع السياق الذي قيلت فيه القصيدة والظرف التاريخي، والبيئة الزمانية والمكانية التي ولدت القصيدة في كنفها.

ومن جانب آخر قد تحول مفردات الشاعر التي تتصف بالبذاءة والخروج عن الآداب العامة والاجتماعية، قد تحول دون القدرة على تناولها بحرفيتها، إنّما بالتلميح والإشارة إليها دون ذكرها صراحة.

ومن مشكلات البحث الأخرى تناول الجانب السياسي وتحديد المراد به، فلقد عرف الأدب العربي منذ القدم الجانب السياسي، لكنّه لم يتبلور بالمعنى السائد في عصرنا حتى العصر الأموي، إذ إنّ هنالك من يطلق على الشعر الذي نحى منحى الهجاء والمديح في عصر صدر الاسلام، الشعر السياسي الذي كان من وجهة نظر هؤلاء بابا للوصول إلى غايات سياسية تتعلق بتسلم مقاليد السلطة آنذاك، ولاسيما بعد وفاة النبي الأكرم i ، إذن، تحديد المفهوم السياسي للأدب يمثل إحدى مشكلات البحث إلى جانب الشعر القومي، وتوضيح المقصد منه، فالشعر القومي كان قديما منذ ان انتسب الإنسان إلى قبيلته، ودان بالولاء لها، وحارب وأراق الدماء سنين طويلة في سبيلها، لكن مفهوم القومية اختلف باختلاف العصور وتبدّل الظروف، وعصر مظفر النواب، لاشك لا يشبه عصر امرئ القيس ولا الفرزدق ولا أبي فراس الحمداني من حيث المفهوم القومي في الشعر.

أهمية البحث وهدفه:

تكمنُ أهميّةُ البحثِ في تسليط الضوءِ على جوانبَ أساسية في شعر الشاعرِ، صحيحٌ أنها موجودة في أعماله الشعرية، غير أن الدراسات التي تناولت الشاعر مالت إلى تناولِ أحدِ الجوانبِ أو اثنينِ منها، دون جمعها في إطار عمل أدبيٍّ أو نقديٍّ واحدٍ، وفي العمل الذي بين أيدينا نقفُ على مساحةٍ أكبر حياة الشاعرِ، الأمر الذي يساعدنا في استجلاءِ فكرِ الشّاعرِ وفلسفته ورؤاه الحياتية، والذهاب في رحلة ممتعةٍ للتعرفُ على معالم بيئة الشاعر الزمانية والمكانية، والغوصِ عميقاً في خبايا مقاصده حيث كان ينحو منحى الترميز. ولذا فإن البحث يسعى إلى إضافةٍ علّها تكون جديدةً من حيث ربط الاتّجاهات السياسية والقومية والاجتماعية في شعره، والبحث في العلائق التي تربطها سواء أكانت سببيّةً أم زمنيّةً أو أيديولوجية سيسعى البحث إلى التوقُّفِ عندها بالدرسِ والتّحليل.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث إثارة عدد من الأسئلة الموضوعية:

١. أيُّ الاتّجاهاتِ يطغى على شعرِ الشاعرِ، ولِمَ؟

٢. كيفَ أسهمت بيئةُ الشاعرِ مظفّر النّواب في وَسمِ البنية اللغوية بطابعٍ متميّز؟

٣. كيفَ أسهمتِ الموضوعاتُ والأغراضُ الأدبيةُ في التعبير عن شخصية الشاعرِ، ورسم ملامحهِ الأدبيةِ؟

٤. ما هي ملامحُ انعكاس جرأة الشاعر على ماهية الموضوعات المطروحة ولغة الشعر؟

الدراسات السابقة:

شكّل الشخصية الجدلية للشاعر العراقي مظفّر النوّاب بيئةً خصبةً للكُتّابِ والدّارسينَ للخوضِ في حياتهِ وشعرهِ، وبدءاً من كتابِ (مظفر النواب حياته وشعره) الذي أرسى له باقر ياسين، إذ وقف على البنية اللغوية في شعره، بما تحمله من جوانب نحوية وصرفية وصوتية ودلالية، وكذا حطَّ الرّحال على عتبات حياة الشاعر، وأظهر الفارق بين منشئة في بيئة ارستقراطية غنية، واضطراره لعيش الحياة الهروب والتخفي واللجوء بسبب ما يصدر عنه من مواقف في الشعر وغير الشعر، وعرّجَ على الحالةِ الثّوريّةِ التي تحلّى بها وتمثّلها، وحلة التمجيد في شعره للأبطالِ الثوريينَ على اختلاف مشاربهم.

وممّن كتب عنِ الشاعر مظفرِ النوّابِ عبدُ القادرِ الحسني، في كتابه (مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية)[٣]، ورأى في كتابه محاولةً جادّةً لرسمِ صورةٍ واقعيّةٍ متكاملةٍ للشاعرِ، من منظورٍ نقديٍ أوّلاً، ووقوفٍ على تجربة الشاعر الشعرية والحياتية ثانياً، ولا سيّما أنْ رأى أنَّ أغلب ما وصل للقارئ العربي عن هذا الشاعر كان شفهيّاً أكثر منه مكتوباً.

وقد خصّصَ الدكتور خير الله سعيد كتابه (ذروة الإبداع في الشعر الشعبي العراقي)[٤] لرصدِ تطوّر شعر مظفر النّواب، وحالة الانتقال الشعري بين الكلاسيكي في الستينيات والحداثة والمعاصرة التي عدّها الكاتب مرحلة النضج في شعر الشاعر في فترة السبعينيات، فيقف على موضوعات الشعر الشعبي لمظفر النواب بدراسة تعدُّ مختلفة عن سابقاتها، يعرضُ فيها وجهةَ نظرِ النوّابِ نفسه في شعره الشعبي على وجه الخصوص.

وذهبت الكاتبة ميادة خضر على في كتابها (مظفر النواب رحلة الشعر والحياة)[٥] إلى جعلِ النّوابِ أسطورةً خالدةً خلودَ جلجامش، مُبهراً كحدائقِ بابل المعلّقة، وخَلُصت في دراستها إلى أنَّ النّوّابَ يمثّلُ حالةً فريدةً، فهو جيلُ من الشعراءِ، وهوَ اختصارٌ للآلام ولمرحلة الشوق والمعاناةِ؛ إذ إنَّ في إبداعهِ أكثر من رؤى، وأكثر من عبقرية، وقد رأت

الكاتبة في كتابها أن النواب يمثل تراث الأمة وحاضرها، فلديه، بنظرها، أحزان كربلاء وبطولاتها، وفي شعره انتفاضة الأقصى، ورؤى زرقاء اليمامة.

منهجية البحث:

ينحو البحثُ نحو استخدام المنهج الوصفي التّحليليّ من خلال الوقوف على اتجاهاتٍ ثلاثة، وذلك بتوصيف الظاهرة، وعرضها من جوانبها المختلفة، وذلك وفقَ منحيين، أفقيٍ يُعنى بصفات الظاهرة وخصائصها وسماتها المتعدّدة وأسبابها ومظاهرها ونتائجها، وشاقولي (عمودي) يغوص في خفايا الظاهرة ودلالاتها الرمزية الخبيئة، وإيحاءاتها الكامنة خلف تلميح المفردات والتراكيب المتنوعة. كلُّ ذلك من خلال الوقوف على عتبات النصّوص الشعرية بالتحليل والدراسة اللذينِ يهدفان إلى رصدِ فكرِ الشّاعرِ وفلسفته ورؤاه الحياتية، واستجلاء مظاهرِ الحياة والبيئة التي نشأ فيها وترعرعَ إلى أن شبَّ وكبِرَ وكبرت معه همومه وآلامه وآماله التي جابَ بها بقاعَ الأرضِ، لائذاً بالفرارِ من ملاحقاتٍ ومطاردات لم تتوقفَ.

كما أنه لا غنى في بحثنا هذا عن الأسلوبية في استقصاءِ جوانب اللغة لدى الشاعر، إذ تقتضي الأسلوبية الوقوف بالدراسة والتحليل، على اللغة من حيثُ الألفاظُ والتراكيبُ والصور الفنية سواء البيانية منها أو المشهدية أو الرمزية.

مظفر النواب ـ حياته ومسيرته:

هو مظفر بن عبد المجيد بن أحمد حسن بن أحمد ابن اقبال بن معتمد النواب، والنواب جاءت من النيابة، أي النائب عن الحاكم، حيث كانت العائلة تحكم إحدى الولايات في الهند. ولد في بغداد١٩٣٤م، وعاش في بيت مترف، إذ كانت العائلة ثرية وأرستقراطية، فقد سكنت عائلة النواب قصرا فخما، ومن جانب آخر فقد نشأ النواب في بيت يحيط به جو فني وثقافي عام، فوالده كان يعزف على العود ويغني في جلساته العائلية، بينما كان خاله يجيد العزف على القانون، إضافة إلى آلة البيانو[٦].

ولكن لم تستقر حالة العائلة السعيدة وحدثت الاضطرابات التي أثرت على استقرارها وهنائها، كما أثرت في نفس النواب وكانت بمثابة صدمة لشاب لم تكتمل أحلامه بعد. وتدهورت حالة العائلة المادية[٧]، وكان النواب الأمل المنشود وحبل النجاة لإنقاذ العائلة

من التدهور، وسرعان ما تبددت الآمال وتبخرت فبعد أشهر من تعيينه مدرسا في إحدى المدارس في بغداد، تم فصله لأسباب سياسية وبقي النواب عاطلا عن العمل.

كانت فترة الجامعة هي بداية علاقته بالحزب الشيوعي العراقي، فانتمى إليه وناضل في صفوفه خاصة بعد الإطاحة بالنظام الملكي عام١٩٥٨م، واضطر في ١٩٦٣م إلى مغادرة البلاد باتجاه إيران اثر اشتداد الصراع بين الشيوعيين والقوميين العرب الذين وصلوا إلى الحكم بانقلاب نفذوه في نفس العام.(٨) كانت حياة النواب مشحونة بالأخطار والتنقل والسفر والاغتراب حيث فرضت عليه قصائده السياسية الهجائية أن يكون" شاعر الغربة والضياع" فعاش عقودا أربعة طريدا بين المنافي العربية و الأجنبية، متوزعا في أسفاره بين دمشق وبيروت والقاهرة وطرابلس والجزائر والخرطوم وسلطنة عمان أيام ثورتها، وغيرها حتى استقر في ليبيا، هذه الهزات الحياتية العنيفة التي تعرض لها النواب ولّدت لديه موقفا معاديا للأنظمة العربية كافة(٩).

- **الشعر القومي:**

للشعر تعريفات عدَّة وقد عرفه الدكتور مجدي وهبة فقال: "الشعر فن من فنون الكلام يوحي عن طريق الإيقاع الصوتي واستعمال المجاز بإدراك الحياة والأشياء إدراكاً لا يوحي به النثر الإخباري "(١٠).

أما كلمة القومية فهي مشتقة في أصل اللغة من كلمة قوم، وقوم الرجل شيعته وعشيرته، وقيل النفر والرهط، والقوم في اللغة الجماعة من الرجال والنساء(١١). وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة "القومية مبدأ سياسي اجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها، أو هي الاعتقاد السائد لدى الشعب في أنه يشكل جماعة متميزة ذات سمات خاصة تميزه عن الآخرين مع توفر الرغبة في حماية هذا التميز والارتقاء به ضمن حكومة ذاتية"(١٢).

وفي الاصطلاح " القومية في الأدب: التمسك بالموضوعات التي تهم كل أبناء الأمة الواحدة، والتحمس لها من حيث الاتجاه نحو الدفاع عن القضايا الوطنية، وإبراز ما يحث القراء على التمسك بقيمهم في مواجهة خطر حقيقي أو متصوَّر"(١٣). ومما تقدم يمكننا القول إنَّ الشعر القومي هو فنّ أدبي يقوم على الإيقاع والإيحاء، يتخذ القومية مُنطلَقَهُ الأساس

فيتغنى بكل ما يتعلق بها ويتفاخر بأمجادها ويعمق شعور الانتماء إليها.

ويعد الاتجاه القومي في الأدب عامة، والشعر خاصة من الموضوعات المهمة التي تغنى بها الشعراء منذ القديم؛ وتفاخروا فيها، فالقومية مفهوم متطور حمل دلالة تتناسب مع كل زمن فالشاعر الجاهلي تغنى بقبيلته، والشاعر الإسلامي تغنى بالأمة الإسلامية جمعاء، وهكذا حتى صارت القومية في يومنا هذا تعبر عن الإيمان بقضايا الوطن العربي كله، وتنطلق من فكرة الالتزام بكل ما يؤمن به الشعب العربي على امتداد مساحة الوطن، فأصبحت القومية رابطا يؤلف بين قلوب العرب أينما وجدوا في الوطن والمغترب، وقد برز هذا الاتجاه وتغلغل في الشعر المعاصر ونجده لدى الشاعر العربي مظفر النواب جليا واضحا، فهو الشاعر الذي حمل الأمة في قلبه وأثقلت همومها كاهله وعاش لأجلها طريدا تلاحقه نقمة السجون فانبثقت قصائده من خلف القضبان لتدين جرائم الاستعمار.

موضوعات الشعر القومي عند مظفر النواب:

أول تجليات القومية في الشعر هي مناهضة الاستعمار و": قصة العرب مع المستعمرين ملحمة دامية تعاقبت أحداثها الرهيبة على أرضهم، ولما تتم فصولا حتى هذا اليوم، وطبيعي أن يجد موضوع الاستعمار الذي اقتحم حياة العرب قاطبة عشرات السنين صداه البالغ في الشعر الحديث ويغدو من أبرز جوانب أدبنا القومي "(١٤).

وذلك من خلال إبراز مشاعر النقمة ضدهم وفضح جرائمهم والسخرية منهم، واستنهاض الهمم العربية من خلال تحويل الشعر إلى رسالة في التنوير وبث روح الثورة، وتعميق حالة التضامن والإخاء بين البلدان العربية، ولاسيما فيما يتعلق بالانتفاضة الفلسطينية التي كتب النواب لأجلها كثيرا من القصائد فها هو:يعنون قصيدة ب (يوميات عروس الانتفاضة) وجاء فيها:

"فما زال من بقع الدم

نجمات عشق تضيء وتخبو

كأن يبرق الدم شفرته عبر كل الزمان

كأن الجريمة تمت بمدخل نابلس

كانت جمع الأفاعي الدميمة

تسحبهم في الظلام العظيم

الجريمة تمت بمدخل نابلس

نابلس.. نابلس

تلك الجريمة تمت بمدخل نابلس(١٥)

فإذا ما تمعنا في العنوان وهو العتبة النصية الأولى نجد الشاعر قد كنّى عن فلسطين بقوله (عروس الانتفاضة) وفي هذه الكناية مفارقة عجيبة حيث تحولت فلسطين من موقع جغرافي إلى عروس جميلة بهيّة الطلة، لكنَّ إضافة كلمة الانتفاضة تستحضر حالة التوتر والثورة فبدلا من أن يكون للعروس عرس وأفراح وزغاريد فهي تُزفُ وسط الانتفاضة والثورة في كل يوم، فتخيم لحظات الصمت ليأتي المقطع الذي يصدم المتلقي فقد تحوَّل العرس الشعبي إلى عرس دموي وجريمة وغطى الدم مساحة القصيدة؛ فهذه الدماء التي تسفك يوميا تحولت إلى نجمات (تضيء وتخبو) فالتضاد هنا يوحي بالحضور الدائم لصورة الدم وكأنها تختفي عن النظر أحياناً ولكنها حاضرة خالدة، فالتضاد بين دلالات الفعلين واستمد جماليته من فاعلية الخيال الشعري، ثمَّ يوثق الشاعر الجريمة قائلا (الجريمة تمت بمدخل نابلس) مكرراً هذه العبارة ثلاث مرات وكأنه يوثقها في زمانها ومكانها، وفي تكرار الجملة تكرار لمرور الجريمة في ذهن المتلقي كي لا ينساها أو يتجاهلها، كما يوحي هذا التكرار بحالة التوتر التي أحدثتها الصدمة عندما تحول العرس إلى مسرح للجريمة ونلاحظ في قول الشاعر(بمدخل نابلس) مدى الألفة بينه وبين المدينة، فكأنه يعرف تفاصيلها وملامحها على الرغم من أنه شاعر عراقي إلا أن عشقه لفلسطين ظاهر في كلماته الشعرية.

إنه يلقي الضوء على المستعمرين الذين أخذو يحاولون إخفاء ملامح الجريمة، فيصفهم بالأفاعي الدميمة وفي هذه الاستعارة التصريحية تغييب للوجه الحقيقي وهو المستعمر (الإنسان) وتركيز على صورة الأفاعي (صورة الحيوان) وما يرافق ذكر الأفاعي من غدر وموت وأذية تلحق بالضحيَّة ،" والاستعارة هي اللغة الطبيعيّة للحالات المتوترة للإثارة، لأنّها تمكن الإنسان بعنف مركز من التعبير عن الارتفاع في مستوى الموقف العنيف الّذي

يثيره ".[١٦]، فالجريمة هي باختصار تصوير لوحشية المستعمر في قتله لصورة الإنسان وكشف لصورة المستعمر التي تشبه مجتمع الغابة الحيواني الذي يضيع فيه حق الضعيف.

ولم يكتف الشاعر بفضح الجرائم وحسب بل نراه يهبُّ لنصرة الشعب الفلسطيني بشعره وكلماته التي تؤجج نار الثورة فيهم، فنراه يستنهض الهمم قائلاً:

" طين رحيم كرب رحيم

ليلتفت ولد الأفاعي

فكل فتى في المخيم

يعرف كيف يدوس رؤوس الأفاعي

لكل حجارته

فتية الوطن العربي

حجار كثيريا وطننا

فانهضوا الأفاعي

بأشياء الركب قاطبة

حجر فوق أفعى هناك

أرادوا جحيما بمقدار ما نشتهيهم

نعم.. وليعم الجحيم ارمِ رب الحجر

ارم شُلَّت مدرعة تحت صليات عينيك "[١٧]

يطالعنا في هذه المقطّعة الشعرية تشبيه يجمع بين طرفين متنافرين (الطين) (الرب) فلا علاقة تشابه تربط بينهما، وكيف للطين أن يشابه (الرب)، فهو يثير دهشة في النفس ويدفع الذهن للبحث عن علاقة المشابهة ليجد أن الرحمة هي الخيط الرابط بينهما، وعلى الرغم من أن الطين لا يعرف معنى الرحمة أو الظلم إلا أنه بالرغم من كونه عنصر ا جامدا أصبح رحيما قياسا بجرائم البشر، ومن هنا تأتّت له صفة الرحمة، فهو لا يقتل ولا يذبح ولا

يسفك الدماء، وفي هذا التشبيه تقبيح للإنسان الذي هداه الله العقل ليتفكر؛ فقتل، وصار أسفل السافلين بقبح أفعاله. فحتى الطين الذي جُبل منه الإنسان يستنكر عليه فعله ويرفض قسوته وظلمه. هذا الفئة الظالمة (أولاد الأفاعي) تتحدر من نسل حيواني الطبع آدمي الهيئة، يتصدى لها أطفال الحجارة، وفتيتها. ينهضون من المخيمات من قلب المأساة ليدوسوا رؤوس الأفاعي، فتية في مقتبل العمر يواجهون الأفاعي التي تحمل السم والموت وأداتهم في حربهم حجر تحمل الجحيم للغراة الذين أرادوه لفلسطين وأبنائها، بل لأبناء الوطن العربي كلهم، وفي قول الشاعر (فتية الوطن العربي حجار كثير يا وطننا) استنهاض لهمة كل عربي ليكون مع هؤلاء الفتية، وتوحيد للمواجع والآلام، وتذكير بمسؤولية كل فرد عربي تجاه القضية الفلسطينية.

ويعلن الشاعر موقفه بكل حدة قائلا (نعم) وليعم الجحيم، فلتلتهب نار الثورة وتحول حياتهم إلى جحيم، وتتصاعد الدفقة الشعورية حتى تصل أعلى مستوياتها ونحس إيقاع الكلمات يتصاعد وصوتها يعلو (نعم) (ارم ربَّ الحجر) يقول له (ارم) وكأنه يشد على يده ويعاضده كأنه يرمي معه بقلبه وروحه ويتحد معه، (رب الحجر) عبارة تدل على شدة إعجاب الشاعر بهؤلاء الفتية وتعظيمه لهم فكأنهم امتلكوا صفات القداسة كُرمى لبطولتهم وعظيم تضحياتهم. وها هي مدرعات المحتل مشلولة ذليلة تحت مرمى الحجر فاعتبروا أيها العرب.

وفي قصيدة أخرى نجد الشاعر يتغنى بإرادة الشعوب العربية ويمجد بطولات أبنائها ويخلد شهداءها ويستحضر رموزها الوطنية والقومية، فيقول في قصيدة (أفضحهم) التي يعلن منذ في مطلعها (لاتقهر انتفاضتي) ثقته بانتصار الانتفاضة الفلسطينية وينسبها لضمير المتكلم ليعلن أيضا تبنيه لها وإيمانه بها وتوحده مع الفلسطينيين:

:"ولست مازحا

إرادة الشعوب تكره المزاح

قد أذّن الدم الذكي:

أن محمد الدرة " من يؤمكم

فيا رجال

يارجال

وحدوا الصفوف خلفه

حي على السلاح "[١٨]

في هذا المقطع الشعري يستنكر أسلوب المزاح والطرافة العبثي واللامسؤول الذي أبداه حكام العرب والغرب تجاه القضية الفلسطينية ومصير الشعب مذكرا بأنها قضية شعب ومصير ويبدو الشاعر شديد الانفعال في هذا الموقف وهذا ما يشير إليه استخدام الأساليب الانشائية (يا رجال، يا رجال، وحدوا الصفوف، حي على السلاح) ثم يستدعي صورة الطفل الشهيد (محمد الدرة) الذي تحولت دماؤه الطاهرة إلى مؤذن في الجوامع والكنائس، وصار إماما للرجال وهل ثمة أعظم من الإمام البريء الشهيد؟ إنه يستحق هذا اللقب وهذا ما جعل الشاعر يتحدث عنه بكل ثقة مستخدما أسلوبا خبريا مؤكدا (قد أذّن، أن محمد) وراح يقدمه في صورة فيها من الطهر والقداسة ما يدفع الرجال إلى الصلاة خلفه صلاة ثورية قادرة على تحقيق الإرادة وتغيير المصير، والدعوة اليوم إلى الصلاة والنضال معا فهذه ساعة الجهاد، وكما تحول محمد الدرة إلى إمام المجاهدين تحول النواب إلى إمام الشعراء في الدعوة لنصرة القدس والانتفاضة فقد كثر تأثر الشعراء والأدباء بشعر النواب، وخاصة شعراء الأرض المحتلة، فقد التفت الشاعر على الخليلي إلى أن "كثيرا من النصوص الشعرية ليست سوى صدى لأشعار مظفر النواب وكتب هذا في مجلة "البيادر" "[١٩] وأولى هذه الظاهرة اهتماما كبيرا.

ولا تتوقف قومية الشاعر على القضية الفلسطينية فحسب فها هو يعبر عن عشقه ل لبنان ويشاركه حزنه ومأساته قائلا:

"معجزة القرن العشرين لقد حصلت

بالنفط هدمنا لبنان

وبالنفط سنبني لبنان

يارب كفى خجلا

يارب كفى ثيرانا

يارب كفى "[٢٠]

في هذه المقطوعة يهاجم الشاعر الحكام العرب محملا إياهم مسؤولية ضياع لبنان، وفاضحا المتآمرين الذين باعوه بثمن بخس مقابل بعض النفط والمال، وهنا تجلت نزعته القومية واستعرت نار الغضب في قلبه وشعره، فنراه فاقدا الأمل من الحكام والشعوب العربية موجها دعاءه إلى الله بأن يوقف هذه المهزلة المخجلة ويخلصه وأخوته العرب منها، ويكرر الدعاء على نية الخلاص من هؤلاء الحمقى كالثيران، إنه يستنجد الخالق أن يحفظ هذا الوطن لأنه بات في حالة يرثى لها. وحين يشتد الكرب ويزداد الهم والتعب يلجأ الشاعر إلى الشام التي يرتاح فيها من همومه العربية التي أضنته فيقول: في قصيدة (اللون الرمادي):

دمشق عدت بلا حزني ولا فرحي

يقودني شبح مضنى إلى شبح

ضيَّعت منك طريقا كنت أعرفه سكران مغمضة عيني من الطفح

أصابح الليل مصلوبا على جسد

لم أدر أيَّ خفايا حسنه قدحي

أسى حرير شآمي يداعبه

إبريق خمر عراقي شجٍّ نضحِ

... دمشق عدت وقلبي كله قرحٌ

هذي الحقيبة عادت وحدها وطني"[٢١]

كثيراً ما يرتبط اللون الرمادي بالحزن والكآبة ومن الواضح أنه عند النواب " يتموضع في فضاءات الحزن والزوال، فحين تصبح اللذة مخدرا لنسيان الهزيمة وقضبان الواقع، تصبح القصيدة معنونة بـ (اللون الرمادي) "[٢٢]، العنوان الذي يوحي بالضياع، وضبابية الرؤية، والتأرجح ما بين الأبيض والأسود، فالشاعر يخاطب دمشق وكأنها الأم أو الحبيبة القريبة للقلب والروح معلنا قدومه بلا أفراح ولا أحزان، وكأنه يطلب ودَّها بعيدا عن كل ما في قلبه من مواجع وآمال، فالأشباح تطارده وتضنيه، ويبدو الشاعر منكسرا وهذا ما يشي به قوله (يقودني) فكأنه يسير مسلوب الإرادة، ويبثها شكواه كيف أضاع الطريق التي لطالما

حفظها واستدل عليها وهو في أشدِّ حالات السكر واللاوعي، لتكتمل صورة الألم في قوله(مصلوبا على جسد)، فصيغة اسم المفعول تنم على انعدام القدرة على الفعل والتغيير، وصورة الصلب تستدعي الآلام المبرحة التي يعانيها المصلوب ولكن كلمة جسد التي أضيفت إلى الصلب أوحت أنَّ هذه الألم روحي أكثر منه جسدي فكأنه يقول روحي مصلوبة على جسدي وكأن لمسة صوفية هبَّت على هذه الصورة، فتنشد روحه المتعبة الخلاص من قيد الجسد وتتوق إلى أصلها، ثم تبدو صورة الحرير الشآمي رمز العزة والاصالة لترتسم إلى جانبها صورة إبريق الخمر العراقي لتكون هذه الخمرة منجاته من حالة البؤس التي يعانيها، وترتسم في ذاته صورة العراق متلاصقة بشقيقتها الشام في مشهد صادق عميق، وتكشف أبيات القصيدة عن عمق معاناة حقيقية فالجملة الحالية (قلبي كله قرح) ترسم صورة طريق العودة والكم الهائل من مواجع الشاعر المرتحل الذي تاه في وطنه وصارت حقيبته وطنه، وبقي وطنه حقيبة يحملها على ظهره. هذه القصيدة بنفحاتها القومية الوجدانية جاءت فياضة بالمشاعر والعاطفة الإنسانية الصادقة وكأنها كتبت في لحظة تعب لمناضل ثائر ضاقت به السبل.

ومما تقدم نجد أن الشعر القومي أخذ مساحة كبيرة في قلب الشاعر وديوانه، فقد تغنى بالعروبة وحمل آلامها وآمالها، ومجَّد القدس والانتفاضة وتغنى ببطولات أبنائها وبنهج المقاومة والتحدي وقدَّس الحجر ورب الحجر الذي يواجه مدرعات الأعداء، آمن بقضيتهم وكان يحث العرب والعالم على نصرة هذا الشعب المقهور، شارك لبنان مواجعها، و بدا في معظم قصائده غاضبا على حكام الوطن العربي محملا إياهم مسؤولية ضياع الوطن، وقد جمع البلدان الشقيقة في أشعاره الجميلة وظل يلهج بأسماء المدن والبلدان العربية من أول قصائده حتى آخرها. إنه شاعر القومية الساخط تضج أشعاره بالثورة والغضب يُشرِّد في العراق ويذبح في فلسطين، يغضب في قمم الخليج ويصرخ بصوت الحق، يتألم في لبنان ويرتاح في دمشق.

- **الشعر السياسي:**

عرف الشعر السياسي بأنه الفن الكلامي الذي يتصل بنظام الدولة الداخلي أو الخارجي وعلاقة تلك الدولة بغيرها من الدول، ومكانتها أيضا بين رقعة الدول "[٢٣] وتعود

نشأة هذا الشعر إلى العصر الأموي وقد ازدهر في العصر الحديث وشهدت البلدان العربية حركة نشطة للشعر السياسي لاسيما في البلدان التي رزحت تحت ظلم الاحتلال. "ويعدّ مظفر النواب الشاعر الأكثر جدلا في الحياة السياسية العراقية خلال ما يقرب من نصف قرن مضى، وهو يمثل طليعة من طلائع النضال في التراث السياسي العراقي وفي حاضره الثقافي أيضا. كان مناضلا مهموما بآفة الاستعمار وبحقوق الشعوب المناضلة من أجل حريتها وجمع النواب مفردات لغته وثقافته من روافد صغيرة ناعمة، من أبعد حدودها الجغرافية ومن أعمق مهاميزها الاجتماعية جامعا بين التعددية الفكرية والثقافية الانسانية وهو بلا شك ظاهرة خاصة في سلوكه وحياته، فهو متفرد، متشرد كما هو في شعره، تمرد على الحياة فقست عليه وأضنته بما لاقى منها."[٢٤].

من يطالع قصائد النواب يعرف أنه شاعر سياسي بأسلوب هجائي تهكمي، له مبادئه وقناعاته التي لايقبل التنازل عنها تحت أي ظرف، هو الشاعر الذي اندرج في السياسة منذ كان طالبا في الجامعة فانتسب إلى الحزب الشيوعي العراقي، وبعد تخرجه عُيِّنَ مدرسا ثم طُرد من وظيفته لأسباب سياسية عام١٩٥٥ م، وبعدها اضطر للهرب من العراق نتيجة الصراع بين القوميين والشيوعيين فاتجه إلى إيران دكتور سعد شواهنة، جامعة النجاح الوطنية، صعبر البصرة وهناك كتب قصيدة (وتريات ليلية، ثم ألقي القبض عليه وعذب على يد السلطات الايرانية التي أعادته إلى العراق ليحكم بالإعدام ثم خفف الحكم إلى السجن المؤبد وأضيف إليه ثلاث سنوات من أجل قصيدته (براءة) [٢٥].

موضوعات الشعر السياسي في شعر النواب:

خير ما يمثل شعر النواب السياسي هو هجاؤه لسياسة الحكام العرب تجاه القضية الفلسطينية كما في قصيدة (القدس عروس عروبتكم) التي يقول فيها:

القدس عروس عروبتكم

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها

ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب لصرخات بكارتها

وسحبتم خناجركم وتنافختم شرفا

فما أشرفكم

أولاد القحبة هل تسكت مغتصبة "[٢٦]

فالشاعر يشبه القدس بعروس العروبة التي باعها كل من حولها لزناة الليل الذين يختبؤون خلف ستارة الظلام، ينتقل من تشبيه جميل ليصور مأساة العروس في ليلة زفافها، فتغدو حجرتها الآمنة مكان لأشنع الجرائم، وما يزيد المأساة أن المتآمرين عليها هم أقرب الناس إليها، فهي عرضهم وشرفهم الذي باعوه وأخذوا يراقبون ضياعه واستباحته على مسامعهم دون أن تهتز نخوتهم التي ماتت، وهؤلاء الحكام والقادة السياسون لم يكتفوا بهذا بل سحبوا خناجرهم وتفاخروا واستشرفوا الأمر الذي أشعل نار الغضب في صدر الشاعر فنعتهم ب(أولاد القحبة) مستنكرا فعلتهم ومستنكرا موقفهم (هل تسكت مغتصبة) هذا الاستفهام الذي خرج إلى معنى الاستنكار، والتنديد بما يحدث، ففلسطين تغتصب على مرأى العالم أجمع، وأمام رجال الحكم ودعاة السياسة، ولا أحد يحرك ساكنا، إنه واقع قذر بذيء لم يجد الشاعر ألفاظ مهذبة يمكن أن تعبر عنه فهو يرى "أنه ليس بإمكانه أن ينهل من معجم الأخلاق وهو يعيش في سم المواخير حتى التخمة ولجوؤه إلى المفردة المداعبة الهامسة كذب وهو يعيش جحيم المجزرة [٢٧]، لذلك جاء شعره قاسيا بقساوة المشهد، إنه ينتصر للمغتصبة التي فُرض ليها واقع مرٌّ أليم وبقدر انتصاره لها يهاجم حكام العرب. إنه يبني قصيدته على ثنائية المرأة المسحوقة والسياسي المستبد.

ثم نراه في قصيدة أخرى يصور استبداد هذه الحكومات وممارستها الظلم على أبنائها فتعمق فيه الانكسار وتجعله يعتاد على الهزيمة فيقول في قصيدة الأساطيل:

تبًّ قوم زعاماتهم أرنب عصبي جبان

وعزمهم خصية نائمة

اسكتوا.. فالحكومات في أستها نائمة

لالا فحكومتنا دون كل الحكومات

فزت من النوم شاهرة سيفها

وعلى صدرها ما تشاء من الأوسمة

طعنتنا ويشهد الإله مثل البقية مستزلمة"[٢٨]:

نلاحظ استخدام الشاعر لمفردة (تبٍّ) التي استمدها من المعجم القرآني للدلالة على أن القوم كفرة، وأنَّ مصيرهم جهنم، وذلك لأنهم لا يستحقون حياة كريمة ما داموا يرضون بالذل ويخضعون لقادة كالأرانب فالتشبيه البليغ (زعاماتهم أرانب جبانة) يلغي التباعد بين الطرفين ويفيد معنى المطابقة بينهما، ويحيل إلى دلالات تعمل على تكثيف درجة التوتر الشعرية، فهو ينتقص من رجولة هؤلاء الزعماء ويطالب الشعب بالسكوت كي لا يوقظوا الحكومات المستبدة النائمة إلا أنه يوجه سيفه وقلمه ليصف الحكومة العراقية التي تشهر سيفها على رقاب شعبها وفي الوقت نفسه تعلق على صدرها أوسمة الشرف والبطولة وكأنه يقول للشعوب لاتغتروا بكثرة الأوسمة فهي مجرد قناع يضعه الحكام والقادة لخداعكم، ونلاحظ كيف جاءت كلمة (طعنتنا) لتصور حالة الغدر والصدمة والظلم الذي مارسته حكومة العراق على أبناء الشعب، وهذا لا يدل على قوتها إنما هي (مستزلمة) أي تدعي الرجولة والنخوة لا أكثر.

ولم يقف الشاعر عند نقد الحكومات السياسية في وطنه، بل راح ينقد المؤتمرات والمحافل التي تجمع القادة السياسيين والحكومات العربية، إذ خصص قصيدة (قمم) لهجاء المؤتمرين في مجلس القمة العربية، ومن المعلوم أن الحضور جميعهم شخصيات سياسية لها مكانتها فهو يعتبرون رأس الهرم في الحكومات العربية وعلى الرغم من ذلك لم يخف الشاعر ولم يكترث بعواقب ما قاله بل كانت كلماته حادة جارحة ساخرة حيث يقول فيها:

قمم/ قمم..

معزى على غنمْ

جلالة الكبشِ

على سمو نعجة

على حمار

وتبدأ الجلسة

لا/ولن/ ولم/

ونهي فدا خصاكم سيدي

والدفع كم؟؟

ويفشخ البغل على الحضور؟ حافر به/ لا. نعم

وينزل المولود

نصف عورة

ونصف فم

مبارك..مبارك

وبالرفاه والبنين

أبرقوا لهيئة الأمم[٢٩]

تبدأ القصيدة بعنوان (قمم) وهو جمع قمة ويلمح بها إلى القمة العربية، ويعرض عن وصفها بأية صفة وذلك من باب التحقير فكأن وجود القمم وعدمه سواء، ونراه يسرد مجموعة من الحيوانات(معزى، غنم، الكبش، النعجة، الحمار، البغل) وكلها تنتمي للمعجم الحيواني وتستحضر صفاتها من قباحة وبلادة وفحولة وهمية وغباء وجهل واختلاط نسب وغيرها من هذه الصفات السلبية التي تتراكم في المشهد الشعري، ولكن الشاعر يعقد مفارقة دلالية في قوله (جلالة الكبش، سمو نعجة) فكلمة جلالة وسمو توحي بسمو مقام المذكور وعظمته، ولكن الشاعر يكسر أفق التوقّع ويثير حالة من الدهشة عندما يقرن الجلالة بالكبش والسمو بالنعجة، وكلها رموز تلمح وتصرح في آن معا لشخصيات تلقب بالجلالة والسمو ولا شكَّ أن الوظيفة التي يؤديها الرمز في السياق الأدبي تعود إلى ما يحمله الرمز نفسه من قدرة على الإيحاء، وفعل مؤثر في إغناء دلالة النص الأدبي حين يعمل في مجاله الفني الصّحيح، فالشعر هو أكثر الموضوعات التي يحل فيها الرمز محل الأشياء والأفكار[٣٠]. واستخدام الرمز في هذا المقام يثير الذهن ويفتح الباب لتعدد الدلالات ومن المستبعد أن

يكون الرمز قناعا يختبئ وراءه الشاعر لأنه يصرخ بأعلى صوته مصرحا بأفكاره. وبعد كل هذه الدلالات المنفتحة على السلبية تبدأ الجلسةُ، وتبدأ استجابات الحضور بالرفض والنهي والنفي، فليس فيهم من يجرؤ على إبداء استجابة إيجابية فاعلة، وكلها سلبية وضيعة وما يكرس وضاعتها قول الشاعر (فدا خصاكم سيدي) إنها عبارة تكرس المستوى الذليل الوضيع الذي وصل إليه هؤلاء الحضور، تحمل في طياتها إهانة كبرى لواقع الحال في هذه المؤتمرات، فهي مجرد صفقات مقابل المال، فها هو يفضح ما يجري في الأروقة ويقول (كم الدفع؟) فبدلا من أن تعلو أصوات تطالب بحقوق الشعب العربي وعودة الأراضي المغتصبة والمطالبة بدعم المقاومة في البلدان العربية، تعلو أصوات الصفقات المادية وتسود لغة المال. وبعد أن تمخضت القمم كان المولود من نسل البغل لا أصالة ولا نسب ووسط التشجيع يولد بنصف عورة ونصف فم، مولود مشوه، وهذا المولود هو البيان الذي ستخرج به القمة بيان مفرَّغ لا فائدة ولا خير ولا أمل فيه، بل لعنة أبدية ترافق الشعوب العربية، وأسوأ ما في الأمر أن الحضور يتبادلون المباركات لتتصاعد حدّة السخرية والتهكم لدى الشاعر عندما أخذوا يبرقون لهيئة الأمم التي بدورها ستفرح وتبارك لتكون مباركتها قتل للأمل العربي المنعقد على هذه القمة وقتل لحقوق الشعوب وسط هذه المباركات. هذه القصيدة بطابعها السياسي الهجائي وإن كانت تبدو سافرة واضحة لوضوح مفرداتها وبذاءة تراكيبها إلا أنها تضجُّ بالرموز وكما يرى أدونيس " الرّمز هو اللغة الّتي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة، أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة، إنّه البرق الّذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له، ولذلك فهو إضاءة للوجود المقيم واندفاع نحو الجوهر[٣١]"، فيعترف بقدرة الرّمز على توليد نص جديد نابع من النّص الأول وربما يكون خارج عنه.

وعلى ما تقدم نجد أن السياسة كانت الساحة الأدبية الواسعة التي جال فيها الشاعر وصال فنقد الشخصيات السياسية وهاجم الحكومات المتخاذلة وفضح استبدادها وممارساتها المجحفة بحق الشعوب وعبر عن أفكاره السياسية دون خوف أو تردد وكان لشعره السياسي المليء بالشتائم والألفاظ الغريبة التي دخلت لغته الشعرية وقع كبير على الشعوب العربية إذ كانت قصائده تحفظ وتتردد على ألسن الصغار والكبار في الوطن العربي، وتفاعلت معها فئة واسعة من مختلف البلدان ولكنها أججت حالة النقمة والحقد بينه وبين الحكومات العربية، وقد ظل محافظا على نهجه وأسلوبه الساخر الساخط فهوى يرى أن مكانه بين

صفوف الشعب والمضطهدين لا بين رجال السياسة والمسؤولين.

- **الشعر الاجتماعي في شعر مظفّر النواب:**

يعدّ الشّعر نشاطاً إنسانيّاً ينتجه الفرد لكنه يعنى بكل ما يحيط بواقعه، فهو ذاكرة جمعيّة تعبر بلسان شخص واحد عن أفكار الجماعة، وطموحاتها وآلامها، فتنطلق معبّرة عن كلّ الاختلاجات الّتي يمكن أن تشعر بها النّفس الإنسانيّة في سيرة عيشها منذ القديم، إنّ الفنان يملك قدرة على التأثير بالمؤثرات المحيطة به وله قدرة على إبقاء انطباعاته في حالة حرية فتنشأ فيما بينها علاقات جديدة(٣٢)، والشعر أحد الفنون التي عنيت بالواقع وهو لا يقوم بعرض الواقع بشكل حرفي كما يراه أو يسمع عنه، بل يعرضه من خلال الانطباع والإحساس الّذي ينعكس في وجدانه لينتج صورة يستعين بها على نقل قضيّة ما، وهذه الصّورة لا تعكس الجانب الاجتماعيّ الّذي يحاول الأديب عرضه وإنما الجانب النّفسي الجمعي والأدبي(٣٣)، إن الشاعر ابن الواقع والمجتمع يؤثر فيه ويتأثر به لينتج أدبا يعنى بقضايا المجتمع من أخلاق وعادات وبؤس، وجوع، وصراعات، ويبين موقفه من هذه القضايا ليحث المتلقي على اتخاذ موقف يكون خطوة لتغيير هذا المجتمع. وهكذا كان شاعرنا النواب ابن المجتمع انطلق منه وعانى معه ومنه وتمرّد عليه، واتسم شعره باللهجة العامية الشعبية وسهولة الالفاظ ووضوحها.

ومن أبرز قصائده في الشعر الاجتماعي قصيدة (براءة/الاخت) التي تناول فيها قضيتي الخيانة والشرف، جاء فيها ما يلي:

" **خوي كابلت السجن**

حر وبرد ليلي ونهاري

تحملت لجلك شتايم على عرضي

واشعلت ليلي ونهاري

تالي تهتكني بحلك وصلة جريدة

كرة عيونك يخوي بهاي جازيت انتظاري

بهاي اكابل كل اخت تنتظر منك ثار لعرضها

بهاي اكابل امهات الناس و همومي افضها

جنت أرضى تدوس عظامي

وكلك حيل رضها

جنت ارضى تذبح ابطني جنيني

ولابراءة عار متبركع تجيني....

شلون أوصفك وأنت كلك عار وذلة

لاتصل يمنه وهاك آخذ عار الجريدة

ولف ضميرك والكرامة

متل ماتبريت من شعبك تبرينا من اسمك

ياشعب هذا التشوفه مو ابنا"[٣٤]

جاءت القصيدة تحت عنوان (براءة)، مسرودة على لسان الأخت، وهي توحي ببراءة محكوم مظلوم في بداية الأمر فتأتي على لسان الأخت التي تعاتب أخاها مذكرة إياة بما عانته عندما أرادت مقابلته في السجن، وكيف كانت تتحمل لأجله حر الشمس وبرد الليل، وشتائم الناس وتناولهم عرضها لأنها عاضدته، لتكون صدمتها كبيرة عند سماع أخبار براءته في الجريدة، فتثور وتغضب وتعاتبه بلهجة حادة على الجزاء الذي قابل به تعبها وانتظارها، وتبدو مكسورة خائبة وكأن العار لحقها بفعل هذه البراءة؛ إنها براءة من الدفاع عن الشرف براءة من البراءة وهميّة تحمل في طياتها خيانة عظمى للرفاق والمبادئ والشعب بأكمله، إنها براءة تثبت العار الذي لحق به وبعائلته بسبب تخليه عن مبادئه حتى صارت البراءة تقابل ضياع شرف الأخت والأم في مجتمع يتغنى بالشرف ولا يرحم الخطيئة "فالدفاع عن المبدأ السياسي يعني الدفاع عن شرف أمه وأخته حيث يشعرانه بالخجل من نفسه لو خامرته فكرة الانهيار حيث سيعرض نفسه وأهله لتقولات الناس وأحكامهم الظالمة "[٣٥].

فالأخت تفضل أن يدوس الأخ عظامها ويقتل جنينها على خيانته، لذلك تنتهي براءته ببِبراءةٍ من نوع آخر هي براءة الأخت من أخيها الخائن وتتبرّأ الأم من ابنها العاق أمام الناس

كلهم لخيانته شعبه. فهذه القصيدة تتناول موضوعا يمزج بين السياسة والمجتمع يتناول الخيانة والشرف وتأثير البيئة الاجتماعية في سلوك الأفراد واتجاهاتهم وتظهر سيادة العادات والتقاليد وتعكس قيم المجتمع بلغة عامية محليّة مستمدة من الحياة اليومية وذلك لتكون أكثر اندماجا في البيئة فتلقى رواجا وقبولا لدى عامة الشعب.

ومن القضايا الأخرى التي تناولها النواب قضية الحب العفيف الذي أمسى محرّما في ظروف العادات والتقاليد القاسية التي تفرض سلطتها فيقول في قصيدة (الريل حمد):

"مرينا بيكم حمد واحنا بقطار الليل

وسمعنا دق قهوة وشمينا ريحة هيل

ياريل صيحة بقهر

صيحة عشق ياريل

هودر هواهم ولك حدر السنابل قطا"(٣٦)

تبدأ القصيدة على لسان البدوية العاشقة التي تعبر عن حنينها وحبها لقريتها ومن فيها، فينساب اسم المحبوب على لسانها صريحا على غير عادة مجتمع الفتاة وهذا انتهاك واضح لعاداتهم وتمرد على تقاليد المجتمع الذي يحرم الحبيب من حبيبته لمجرد ذياع خبر حبه له، فيصرخ قلبها معلناً (صيحة عشق ياريل) وكأنها تطلب من القطار أن يوصل حبها للمحبوب وتطلب منه أن يتريث كي لا يخيف طيور القطا، فهذه القطاة كقلب المحبوبة التي أبعدت عن موطنها بسبب هدر دمها لمجرد أنها أحبت ولكنها دائمة الحنين إليه.

وإذا ما تتبعنا قصائد الشاعر سنجد فيها كثيرا من الموضوعات الاجتماعية كالبؤس والفقر والفساد وظاهرة البغاء التي تناولها في نظرة مغايرة للمجتمع. ولكن المقام يضيق بذكرها.

إنه شاعر المجتمع الذي حمل همه وعالج مشكلاته وقضاياه ،وشاعر الوطن الذي عشق بلاده وكره فساد الأنظمة فيها، فنظم حبه قصائد دفع ثمنها شبابه الذي عاشه خلف القضبان وخارج الحدود، إنه الشاعر القومي المتمرد الذي أرّخ القضايا الوطنية والقوميّة وحثّ على

النضال والثورة ، فكان شعره شعر الشعب المقهور الذي ينشد الخلاص ويحلم بحياة كريمة، لا ظلم فيها ولا استبداد. ولا يمكن لدراسة موجزة أن تفي نتاجه الشعري حقه في البحث والدراسة.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة موضوع الشعر القومي والشعر السياسي والشعر الاجتماعي عند الشاعر مظفر النواب، من خلال دراسة تطبيقية تناولت نماذج متنوعة من شعره منها ما كتب باللغة العربية الفصيحة ومنها ما كتب باللغة المحكية العامية. وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. استطاع الشاعر مظفر النواب أن يتمثل قضايا الأمة العربية على امتداد مساحة الوطن العربي، فتبنى القضية الفلسطينية ودافع عنها ورثا شهداءها ومجَّد أطفال الحجارة، وصور جرائم الاستعمار كما نقد سياسة الحكام العرب تجاه القضية الفلسطينية والسياسة الخاطئة تجاه لبنان، وكتب قصائد الحب للشام.

٢. استطاع الشاعر أن يوصف الواقع السياسي، وهجا سياسة الحكام العرب المتآمرين على القضية الفلسطينية وتناول قضية فساد حكومة بلده وظاهرة الاستبداد السياسي وقمع الحريات، ونقد المؤتمرات والمحافل التي تجمع القادة السياسيين العرب.

٣. الشاعر ابن ال مجتمع الذي كافح لعلاج أمراضه، فجاءة أشعاره تتحدث عن قضايا أخلاقية كالشرف والخيانة وظاهرة البغاء، كما تحدث عن الحب في ظل العادات والتقاليد المتعصبة، وتناول قضايا أخرى كالفقر والفساد ولكن المجال لم يتسع لدراستهما.

٤. وظف الشاعر في قصائده رموز عدة منها القومية (كمحمد الدرة) ومنها رموز سياسية لم يصرح بها إنما لمح إليها.

٥. حافظ الشاعر في ديوانه على طابع السخرية والتهكم، وجاء شعره في معظمه هجاء للقادة والسياسات الخاطئة.

٦. كتب الشاعر بعض قصائده بلغة عربية فصيحة مستخدما فيا الاستعارة والتشبيه والتضاد، وكانت لغته واضحة مألوفة، في حين كتب قصائد أخرى بلغة محكية ليكون قريبا من البيئة الاجتماعية لغة وأسلوباً. وقد دخلت في لغته الشعرية مفردات بذيئة نابية لتعبر على تردي الواقع وسوء حاله وتدني الأخلاق وضياع القيم.

هوامش البحث

(١)- ينظر: ياسين، باقر: مظفر النواب حياته شعره، دار الغدير للطباعة والنشر ط٢-٢٠٠٠م، ص١٥

(٢)- مرصد الشرق الأوسط وشمال افريقيا –مرصد مينا -٢٦ يناير ٢٠٢١

(٣)- دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٦م، القاهرة.

(٤)- دار كنعان للدراسات والنشر، ٢٠١٩م، دمشق.

(٥)- دار الحكمة للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م، القاهرة.

(٦) - الزبيدي، يوسف شنوت، مظفر النواب، أجمل قصائده ، دار دجلة، عمان٢٠٠٨ ، ص٧و٨

(٧) - ينظر :رضوان ، نهاية عبد اللطيف : اللغة في شعر مظفر النواب :إشراف الدكتور سعيد شواهنة ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، ص٧. وينظر أيضا ، يحيى ، أحلام:مظفر النواب سجين الغربة والاغتراب ، دراسة نقدية وحوار دار نينوى ، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص١٦

(٨)- ينظر ياسين، باقر: مظفر النواب حياته وشعره ، ص٢٤و٢٥

(٩) - ينظر: رضوان : اللغة في شعر مظفر النواب ، ص٨و٩

(١٠) - وهبه، مجدي و المهندس ، كامل :ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مكتبة لبنان، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص٢١٠

(١١) - ينظر الافريقي ، ابن منظور: لسان العرب الطبعة الثالثة، ج١٢ ص٥٠٥-٥٠٦

(١٢) - عمر ، أحمد مختار معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ ، ج٣ ، ص١٨٧٧

(١٣)- وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص٣٠٠

(١٤)- الدقاق ، عمر :الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث : ط٢، مكتبة الشرق، حلب ، :ص٢٨٣

(١٥)- النواب، مظفر :الأعمال الشعرية الكاملة :ص٣٩١

(١٦)- دي لويس، سيسيل.(١٩٨٢). الصّورة الشّعريّة، تر: أحمد الجنابي، مالك ميري، سلمان الحسن، دار الرّشيد للنّشر، العراق، ص١١٣

(١٧)-النواب :الأعمال الشعرية الكاملة ، ٣٩٢

(١٨)النواب : الأعمال الشعرية الكاملة : ص٤٣٥

(١٩)- الأسطة ، عادل :مظفر النواب الصوت والصدى ، مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٢، ص١١٦

ينظر أيضا: الخليلي ، علي ، شروط وظواهر في أدب الأرض المحتلة ، القدس ، ١٩٨٤، ص٢٠٦

(٢٠)- النواب :الأعمال الشعرية الكاملة : ص١٣٧

(٢١) النواب :الأعمال الشعرية الكاملة :ص٤٢٧-٤٢٨

(٢٢) - الأسدي، محمد طالب: بناء السفينة: دراسة في شعر مظفر النواب، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ٢٠٠٩، ص١١٢-١١٣

(٢٣)- ينظر نوادري، لمية : شعر الرثاء السياسي في العصر الأموي "الكميت الأسدي "أنموذجاً، دراسة موضوعاتي، رسالة ماجستير إشراف الدكتور حاتم كعب ، جامعة العربي بن مهيدي ، ٢١١٥ ص٣٦.

(٢٤) - يعقوب ، أوس داوود :مظفر النواب شاعر الثورات والشجن : دار صفحات للدراسات والنشر ، دمشق، ٢٠١٠م ، ص٩

(٢٥)- الشيخة : خليل :مظفر النواب شاعر التحريض والثورة : ص١٤

(٢٦)- الأعمال الكاملة :النواب ص٣٥٠ و٣٥١

(٢٧)- حسن :شاكر فريح : مظفر النواب شاعر الرفض والشتيمة السياسية ، ١٤-١٠-٢٠٠٩-العدد٢٧٩٩

(٢٨)- النواب : الأعمال الكاملة، ص٢٧

(٢٩) - النواب: الأعمال الكاملة: ص٤٤٠و٤٤١

(٣٠)- ينظر بيرث، رولاند: سحر الرمز، تر: عبد الرحمن عبد الهادي، دار الحوار للنشر، ط١، ١٩٩٤، ص٢٦.

(٣١)- السعدني، مصطفى: البنيات الأسلوبيّة في لغة الشّعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢م ، ص٧١.

(٣٢) ينظر : طبانة، بدوي، قضايا النقد الأدبي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١،د.ت، ص٢٣٢.

(٣٣)- رينيه وليك، أوستن وايرن، نظريّة الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ، د.ت، ص٢٥٤.

(٣٤) النواب: الأعمال الكاملة، ٣٩٦

(٣٥) - يعقوب، أوس داوود: مظفر النواب شاعر الثورات والشجن: ص٢٤

(٣٦) - النواب: الأعمال الكاملة: ص٤٢٩.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأسدي، محمد طالب: بناء السفينة: دراسة في شعر مظفر النواب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٩.

٢. الأسطة، عادل: مظفر النواب الصوت والصدى، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م.

٣. الافريقي، ابن منظور: لسان العرب الطبعة الثالثة، ج١٢.

٤. بيرث، رول:اند: سحر الرمز، تر: عبد الرحمن عبد الهادي، دار الحوار للنشر، ط١، ١٩٩٤م.

٥. الخليلي، على، شروط وظواهر في أدب الأرض المحتلة، القدس، ١٩٨٤.

٦. الدقاق، عمر:الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث: ط٢، مكتبة الشرق، حلب.

٧. دي لويس، سيسيل.(١٩٨٢). الصّورة الشّعريّة، تر: أحمد الجنابي، مالك ميري، سلمان الحسن، دار الرّشيد للنّشر، العراق.

٨. رضوان، نهاية عبد اللطيف: اللغة في شعر مظفر النواب:إشراف الدكتور سعيد شواهنة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية.

٩. الزبيدي، يوسف شنوت، مظفر النواب، أجمل قصائده، دار دجلة، عمان٢٠٠٨.

١٠. السعدني، مصطفى: البنيات الأسلوبيّة في لغة الشّعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢م.

١١. طبانة، بدوي، قضايا النقد الأدبي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١،د.ت، ص٢٣٢.

١٢. عمر، أحمد مختار معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ج٣.

١٣. مرصد الشرق الأوسط وشمال افريقيا –مرصد مينا -٢٦ يناير ٢٠٢١.

١٤. النواب، مظفر:الأعمال الشعرية الكاملة ، طبعة جديدة، د، ت

١٥. نوادري ، لمية: شعر الرثاء السياسي في العصر الأموي "الكميت الأسدي "أنموذجا، دراسة موضوعاتي، ، رسالة ماجستير إشراف الدكتور حاتم كعب، جا معة العربي بن مهيدي، ٢٠١٥.

١٦. وايرن، أوستن، وليك، رينيه، نظريّة الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ، د.ت.

١٧. وهبه، مجدي والمهندس، كامل: ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ م.

١٨. ياسين، باقر: مظفر النواب حياته شعره، دار الغدير للطباعة والنشر ط٢-٢٠٠٠م.

١٩. يحيى، أحلام: مظفر النواب سجين الغربة والاغتراب، دراسة نقدية وحوار دار نينوى، دمشق، ٢٠٠٥م.

٢٠. يعقوب، أوس داوود: مظفر النواب شاعر الثورات والشجن: دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٠م.

المراجع الالكترونية:

- حسن: شاكر فريح: مظفر النواب شاعر الرفض والشتيمة السياسية، ١٤-١٠-٢٠٠٩- العدد ٢٧٩٩.